أثر تسديد تبليغ الدين في ترسيخ القيم الإسلامية الوسطية بالمجتمعات الإفريقية

ذة. هند عبد المجيد محمد

باحثة من جمهورية نيجيريا الاتحادية

بسم الله الرحمان الرحيم

الحمد لله الذي أمرنا بالتمسك بالدين ونهانا عن الغلو فيه، وحذرنا من ذلك تحذيراً شديداً، كما حذر الذين سبقونا فقال: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾[النساء: 171] والصلاة والسلام على من بلغ الأمانة، وهدى الأمة إلى الوسطية، محمد عليه أفضل الصلاة والسلام، وعلى آله الطاهرين وأصحابه والتابعين لهم إلى يوم الدين.

أما بعد:

فلقد اختار الله تعالى لهذه الأمة شريعة هي أكمل الشرائع وأشملها وأعدلها وأكثرها اعتدالاً، وأمر المؤمنين بهذا الدين أن يستقيموا على أمره الذي شرعه لهم؛ كما قال جَلَّ جَلَالُهُ مخاطبًا نبيه صلى الله عليه وسلم: ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[هود:112].

لقد اختار الله تعالى الإسلام ديناً للناس كافة، مكملاً لمكارم الأخلاق، مراعياً لفطرة الإنسان وكرامته، وساعياً إلى تحقيق مقاصد الشريعة الإسلامية العامة، ومنها حفظ النفس البشرية، ولذلك حرم المس بالإنسان بأي وجه من الوجوه، بما في ذلك تكفير أحد، أو قتله، أو لعنه، أو إيذائه. إن القرآن الكريم يؤكد بكل وضوح أن هذا الدين معتدل لا تطرف فيه، ولا يقبل التعصب والتشدد، بل هو

دين اليسر والسلام والتسامح، يقول الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ **[البقرة:143].**

لقد حرص النبي صلى الله عليه وسلم على هداية الأمة وأداء الأمانة، فقام بتبليغ الرسالة على أحسن وجه، وركّز على أمرين مهمين في حمايتها:

الأول: التحذير من التشدد والغلو والتنطع والتعمق، يقول النبي ﷺ: "إن هذا الدين يسر، ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه"[1] ، "إياكم والغلو في الدين؛ فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين، حملهم على أن سفكوا الدماء واستحلوا المحارم"[2]. فقال عن التنطع: "هلك المتنطعون". وعن التعمق: "إن أقواما يتعمقون في الدين يمرقون منه كما يمرق السهم من الرمية".

لقد حذر النبي صلى الله عليه وسلم من الغلو والتطرف؛ لأنه يسيء إلى الدين ويضر بالأمة، وكان التطرف والتعصب أول العوامل التي زرعت بذور الجهل وحكم الغوغاء في العصر الجاهلي، فكان بعض الشباب المتهور الحاقد من ضحاياهم، وخدعهم كذبهم فأصبحوا أدوات تدمير، وهكذا أصبح العالم الجاهلي عالماً إرهابياً دموياً لا يرحم. ونهى صلى الله عليه وسلم عن التعسير والتنفير، كما نرى في وصيته حين بعث معاذ بن جبل وأبا موسى الأشعري رضي الله عنهما إلى اليمن، قال ﷺ: "يسروا ولا تعسروا، وبشروا ولا تنفروا، وتطاوعا ولا تختلفا".

الثاني: التحذير من تكفير المسلمين وقتلهم بسبب ذلك.

لقد حذر النبي صلى الله عليه وسلم من فتنة التكفير والتفسيق لما لها من أثر بالغ في كسر شوكة الأمة وتفرقها، وما تسببه من قتل وتدمير للأمم، يقول النبي ﷺ: "إِذَا قَالَ الرَّجُلُ لِأَخِيهِ يَا كَافِرُ، فَقَدْ بَاءَ بِهَا أَحَدُهُمَا". رواه البخاري. وقال صلى الله

1-صحيح البخاري، رقم:39.

2- أخرجه النسائي وابن ماجه.

عليه وسلم: "وَمَنْ قَذَفَ مُؤْمِنًا بِكُفْرٍ فَهُوَ كَقَتْلِهِ". رواه البخاري. وقال عليه الصلاة والسلام: "لاَ يَرْمِي رَجُلٌ رَجُلًا بِالفُسُوقِ، وَلاَ يَرْمِيهِ بِالكُفْرِ، إِلَّا ارْتَدَّتْ عَلَيْهِ، إِنْ لَمْ يَكُنْ صَاحِبُهُ كَذَلِكَ". رواه البخاري. إن اهتمام النبي صلى الله عليه وسلم بأمته هو السبب الوحيد لهذا التحذير، والذي يعد أيضاً بمثابة تذكير بقيمة الإنسان وكرامته الفطرية عند الله عز وجل ورسوله الكريم صلى الله عليه وسلم.

لقد قام الصحابة رضوان الله عليهم بعد الرسول صلى الله عليه وسلم بتبليغ الرسالة إلى الناس صافية نقية، فشملت أقطار الدنيا، وتقبلتها النفوس الطاهرة على حقيقتها من غير تشدد أو إفراط. ولقد كان هذا حال المسلمين إلى أن ظهرت الدعوات المتشددة التي اتخذت موقفاً متطرفاً ومبالغاً فيه، فقامت بالدعوة إلى العنف والتكفير والفساد وانتهاك الأعراض والأموال، فها هم المخالفون اليوم يسفكون الدماء ويستهينون بحرمة المسلم، ويقتدون بأسلافهم الخوارج الذين كفروا الصالحين وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، واستحلوا دماءهم.

وبحجة القضاء على البدع والخرافات، نشرت هذه الجماعات أهدافها في مختلف أنحاء الدول الإفريقية، وشكلت تهديداً خطيراً للقارة بأسرها. واعتقادهم بأنهم أطهر الناس وأنهم السلف الصالح الذين لهم الحق في إصلاح الدين وهدم الخرافات والبدع، أدى بهم ذلك إلى تكفير المسلمين وسفك دمائهم. وشاع التطرف والتشدد والتعصب في عدد من الدول الإفريقية. وبسبب تأييدهم للأفكار التي تخالف منظورهم، فقد تعاملوا مع المسلمين بطريقة مختلفة عما يحث عليه الإسلام من التسامح والكرامة والعدل والإنصاف. ومن لم يتبع هذا المنهج في نظرهم اعتبر مشركاً أو كافرا.

وبناء على هذا فإن السبيل الوحيد لإيصال الدين الذي ينفع دول إفريقيا اليوم هو الدعوة إلى الله على بصيرة ونشر الدين الوسطي كما بشر به حبيبنا محمد صلى الله عليه وسلم.

أولا: أهمية ترسيخ الإسلام الوسطي بإفريقيا

إن ترسيخ الإسلام الوسطي بإفريقيا أمر بالغ الأهمية، لأن الاعتدال، أو الوسطية، هو جوهر الإسلام، كما جاء في قوله تعالى: ﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطاً﴾ **[البقرة: 143]**. وهو ترياق قوي للسرديات الاستقطابية للتطرف، فالاعتدال يعني التوازن في الفكر والعمل، والابتعاد عن الغلو والتشدد في كافة الأمور.

ومن نتائج هذا الاعتدال أنه:

1. **يعزز التعايش:** أي احترام التنوع الديني والثقافي، وهو أمر ضروري في المجتمعات التعددية في إفريقيا.

2. **يتصدى للسرديات المتطرفة:** فتسليط الضوء على التعاليم الحقيقية للإسلام، ينقض الأساس الذي ينبني عليه الفكر المتطرف.

3. **يعزز التعاون:** يعمل النهج المتوازن للإسلام على سد الفجوات داخل المجتمع المسلم، وتعزيز التعاون ونبذ الصراع.

4. **يحارب الفرقة والانقسام:** الاعتدال يوحِّد المسلمين ويعزز التضامن الاجتماعي، مما يقلل من النزاعات الداخلية.

5. **إعادة بناء الثقة في مجال الدعوة**

من خلال إظهار الإسلام بصورته الحقيقية، يمكن إزالة الشكوك وتصحيح الصورة السلبية التي تروّجها الجماعات المتطرفة.

ثانيا: خطوات مكافحة التطرف، وترسيخ الإسلام الوسطي المعتدل

نبسط ذلك في ما يأتي:

1. إصلاح وتعزيز التعليم الإسلامي الشامل، إذ غالبًا ما يتجذر التطرف في

الفراغات التعليمية أو من خلال المؤسسات التي تنشر تفسيرات ضيقة ومثيرة للانقسام. لذلك يعتبر التعليم أحد أهم أدوات التغيير الاجتماعي والتنمية.

ونتصور أن يتم ذلك وفق مايلي:

أ- مراجعة المناهج: تحديث المناهج الدينية لتشمل قيم التسامح، والعدالة، واحترام التنوع.

ب- دمج التعليم الإسلامي مع التعليم الحديث: إنشاء مدارس تجمع بين تعليم الشريعة الإسلامية والعلوم العصرية يمكن أن يسهم في إعداد جيل واعٍ ومسؤول.

ت- المنح الدراسية والتدريب: تقديم منح دراسية للشباب الإفريقي للدراسة في جامعات إسلامية عالمية، مما يساعد على تأهيلهم ليكونوا دعاة وسفراء للإسلام في بلدانهم.

ث- تأهيل الدعاة: تدريب الأئمة والعلماء على نشر الإسلام بطريقة تتصدى للتطرف وتعزز الاعتدال.

ج- تشجيع البحث العلمي: دعم المؤسسات البحثية الدينية التي تعمل على تقديم الصورة الصحيحة للإسلام وقيمه السمحة.

2. تعزيز الحوار والتعايش الداخلي، يعني بين مختلف الطوائف، فالتطرف ينتشر في ظل الانقسام. وتشجيع الحوار يعزز التفاهم المتبادل ويقلل من التوترات.

ونتصور أن يتأتى ذلك وفق مايلي:

أ- تعزيز الوحدة بين الطوائف الإسلامية.

ب- التقريب بين المذاهب: معالجة الانقسامات بين المسلمين من خلال الحوار بين مختلف الطوائف والمذاهب.

ت- التشجيع على العمل المشترك: إنشاء منصات تجمع بين مختلف الطوائف للتعاون في قضايا مشتركة مثل محاربة الإرهاب وحماية المجتمع منه.

3. تمكين الشباب:

وذلك بإشراك الشباب وتوجيههم: تنظيم برامج تثقيفية ومبادرات شبابية تنموية لغرس القيم الأخلاقية والاجتماعية الإسلامية الحقيقية.

4. تمكين المرأة:

أ- ويتأتى ذلك عن طريق: تعزيز مكانة المرأة كعنصر فاعل في بناء المجتمعات، انسجاماً مع تعاليم الإسلام.

ب- تشجيع المرأة المسلمة على المشاركة في التعليم والعمل، مما يساعد في تقديم صورة إيجابية عن الإسلام.

5. مكافحة الفقر والجهل

غالبًا ما تستغل الجماعات المتطرفة الصعوبات الاجتماعية والاقتصادية لكسب الدعم لها.

ويمكن تجاوز هذه المشاكل بالعمل على ما يلي:

أ- إحداث المشاريع التنموية: إنشاء مشاريع اقتصادية توفر فرص عمل، مما يقلل من احتمالية انضمام الشباب للجماعات المتطرفة.

ب- خلق الفرص الاقتصادية: تعمل برامج التدريب المهني والتوظيف على تقليل قابلية الشباب للتطرف.

ت- تسهيل فرص العمل للخريجين ضمن تخصصاتهم.

ث- دعم التعليم العام: التركيز على تعليم الأطفال والشباب لتزويدهم بأدوات التفكير النقدي ومقاومة الفكر المتطرف.

6. توظيف الإعلام والتكنولوجيا

وذلك عن طريق:

أ- إنتاج محتوى إيجابي: استخدام وسائل الإعلام لنشر رسالة الإسلام المعتدل بلغات إفريقية محلية.

ب- منصات التواصل الاجتماعي: استغلال المنصات الرقمية للوصول إلى الشباب ومواجهة الدعاية المتطرفة.

ت- التواصل مع الخريجين: إحداث برامج دينية ودنيوية تحث على التحلي بقيم الإسلام الوسطي، عبر تقنية التناظر المرئي.

7. تعزيز بناء السلام وحل النزاعات:

غالبًا ما تؤكد التعاليم الدينية على السلام والتسامح والمصالحة.

أ- وفي المناطق التي تعاني من صراعات دينية وعرقية وسياسية، يمكن للعلماء الأفارقة أن يعملوا كوسطاء، ويعززوا الحوار والتفاهم.

ب- ومن خلال استخدام منصات الحوار بين الأديان، يمكن للجماعات الدينية أن توحد الناس من خلفيات مختلفة، مما يقلل من التوترات ويعزز التماسك الوطني.

ت- ومن المهم تقديم المساعدات الإنسانية الهادفة إلى التخفيف من معاناة السكان في مناطق النازحين وضحايا التطرف والإرهاب.

ث- وكذلك إنقاذ أطفال المسلمين الذين أصبحوا ضحايا التطرف. فالإرهابيون يقتلون المسلمين بحجة الردة، فيتركون الأطفال بلا مأوى، وكثير من هؤلاء الأطفال

يتحولون في نهاية المطاف إلى إرهابيين أو يؤول الأمر بهم إلى الانحراف.

8. إعادة تأهيل المتطرفين وإعادة دمجهم

إن الحلول العسكرية وحدها لا تستطيع القضاء على التطرف. لذا فإن التركيز على إعادة التأهيل وإعادة الدمج أمر بالغ الأهمية.

ويتأتى ذلك بما يلي:

أ- إحداث برامج تفكيك التطرف: يمكن أن تساعد الاستشارات وإعادة التثقيف الإسلامي للمتطرفين السابقين على التخلص من الأيديولوجيات الضارة.

ب- تعزيز القبول المجتمعي: إن دعم جهود إعادة الإدماج يضمن عدم نبذ الأفراد الذين يغادرون الجماعات المتطرفة، مما يقلل من احتمالية العودة إليها.

ثالثا: سبل تسديد تبليغ الدين في إفريقيا ومنافعه

إفريقيا هي إحدى القارات التي ارتبطت تاريخياً بالإسلام منذ وصوله إلى سواحلها الشرقية والغربية عبر التجارة والعلماء. واليوم، ومع تزايد التحديات الاقتصادية والاجتماعية، يمكن أن يساهم الإسلام في بناء مجتمعات أكثر عدلاً وتقدماً من خلال نشر قيمه السامية، على نحو ما سنبسطه في ما يأتي:

1. العمل على تنمية المجتمعات: إذ إن الإسلام يدعو إلى مساعدة المحتاجين وبناء مجتمعات متكافلة.

إن التركيز الإسلامي على الأعمال الخيرية والعدالة الاجتماعية يتماشى مع احتياجات العديد من المجتمعات الإفريقية. ويمكن للمبادرات الخيرية المتجذرة في المبادئ الإسلامية أن تحدث تأثيرًا كبيرًا.

أ- إحياء نظام الزكاة والوقف: استخدام أموال الزكاة والأوقاف لتمويل مشاريع

تخدم الفقراء مثل بناء المدارس، والرعاية الصحية، وتطوير البنيات الأساسية.

ب- المشاريع الإنسانية: توفير المساعدات الغذائية والطبية للمجتمعات الفقيرة يعكس روح الإسلام في العطاء والإحسان.

2. استخدام الإعلام والتكنولوجيا: الإعلام الحديث والتكنولوجيا وسائل قوية لنشر رسالة الإسلام.

أ- إنتاج محتوى إعلامي إسلامي: إحداث برامج إذاعية وتلفزيونية، وإنتاج مقاطع فيديو بلغات إفريقية محلية، يمكن أن يساعد في إيصال رسالة الإسلام بطريقة مفهومة ومؤثرة.

ب- منصات التعليم الإلكتروني: تطوير منصات لتعليم القرآن والسيرة النبوية والأخلاق الإسلامية لتصل إلى الأماكن النائية.

3. الحوار بين الأديان: إفريقيا قارة متعددة الأديان، ويتطلب تبليغ الإسلام فيها نهجاً قائماً على الحوار والتفاهم.

أ- بناء الجسور بين الأديان: إن المبادرات التعاونية بين المسلمين والمسيحيين وزعماء الديانات يمكن أن تساعد في معالجة التحديات المجتمعية المشتركة.

ب- المشاريع المشتركة: تنفيذ مبادرات تجمع بين المسلمين وغير المسلمين للعمل على قضايا تنموية مشتركة، مثل مكافحة الفقر والتعليم.

ت- ترسيخ قيم السلام: توضيح تعاليم الإسلام المتعلقة بالعدالة والتعايش السلمي، مما يعزز الثقة بين الأديان.

4. مراعاة الثقافات المحلية: انتشر الإسلام تاريخياً في إفريقيا عبر التفاعل الإيجابي مع الثقافات المحلية.

أ- استخدام اللغات المحلية: ترجمة النصوص الإسلامية إلى اللغات الإفريقية وتدريب الدعاة على مخاطبة الناس بلغاتهم.

ب- الدمج الثقافي: تقديم الإسلام بأسلوب يتناسب مع العادات والتقاليد المحلية دون المساس بجوهر الدين.

5. توفير الرعاية الصحية والخدمات الاجتماعية: إن تقديم الرعاية الصحية والخدمات الاجتماعية من قبل المؤسسات الدينية أمر بالغ الأهمية.

أ- إحداث المستشفيات ومكافحة الأمراض المزمنة.

ب- توسيع نطاق هذه المبادرات لتشمل خدمات الصحة العقلية، ورعاية الأمومة، والبرامج الغذائية من شأنه أن يعود بالنفع على المجتمعات بشكل كبير.

6. تعزيز الإدارة البيئية.

الدعوة إلى رعاية البيئة؛ إذ تواجه العديد من الدول الإفريقية مشكلة التدهور البيئي وتغير المناخ، ويمكن تجاوز ذلك من خلال ما يلي:

أ- تفسير وتوجيه ما ورد في الإسلام بشأن البيئة، والذي يبرز استراتيجات التخفيف من آثار تغير المناخ على البيئة.

ب- يمكن للمؤسسات الدينية أن تدافع عن الحفاظ على البيئة من خلال استحضار المبادئ الروحية لرعاية البيئة واحترام الخلق.

ت- دمج مبادرات زراعة الأشجار، وجهود التنظيف، والإرشادات بشأن الحياة المستدامة في أنشطة التوعية الدينية، مما يجسد الإيمان بمنافعها.

الخاتمة

نخلص في ختام هذا المقال إلى ما يأتي:

- أن مكافحة التطرف في إفريقيا تتطلب نهجًا متعدد الأوجه. ويمكن للدول الإفريقية استعادة السلام والاستقرار من خلال معالجة العوامل الاجتماعية والاقتصادية والتعليمية والدينية التي تغذي التطرف.

- أن عودة مفهوم الإسلام الوسطي المعتدل ليست مجرد ضرورة دينية، بل هي ركيزة أساسية لبناء مجتمعات إفريقية أكثر استقراراً وأماناً. فبهذا النهج المتوازن والحكيم، يمكن للإسلام أن يسهم في معالجة الأخطار التي تهدد الدول الإفريقية، ويفتح أبواب الأمل لمستقبل أكثر إشراقاً.

- أن رسالة الإسلام الحقيقية المتمثلة في السلم والعدالة والرحمة والوحدة تقدم أساسًا قويًا لمواجهة الأفكار المتطرفة.

- أن تبليغ الإسلام لابد أن يكون وسيلة لإحداث تغيير إيجابي يعزز من رفاهية الناس ويرفع من شأن المجتمعات. فالإسلام بما يحمله من قيم السلام والعدل والتكافل، يمكن أن يكون قوة دافعة للتنمية في إفريقيا إذا تم نشره بأسلوب حكيم ومبني على الفهم العميق لاحتياجات المجتمعات المحلية. فليكن الهدف من تبليغ الإسلام هو تحقيق الخير للناس جميعاً، كما قال الله تعالى: ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾ **[الأنبياء: 107].**

- أن تبليغ ونشر الدين في الدول الإفريقية ينبغي أن يصاحبه الاهتمام بمجال التعليم والرعاية الصحية والتنمية الاقتصادية والاجتماعية، وبناء السلام، والحفاظ على البيئة، وبذلك يمكن للمؤسسات الدينية أن تصبح حافزا للتنمية الشاملة.

- أن المثل العليا للسلام والعدالة والرحمة المتأصلة في الإسلام تمكن من معالجة

الصعوبات التي تواجهها إفريقيا، وتسهم في تعزيز الوحدة والتعايش، بما يؤكد أن الإسلام فيه نور وهداية من أجل تحقيق التقدم والازدهار للحضارات الإفريقية.